

1985

## الاتجاهات الدينية بالوطن العربي (من نهاية القرن 18 إلى نهاية القرن 19):

إن الأوضاع التي وصل إليها المسلمون في نهاية القرن الثامن عشر، من انحطاط فكري، وضعف سياسي، وابتعاد عن الدين بانتشار الخرافات العقائد الباطلة، وعدم مواكبة أوروبا في تطورها العلمي والمادي، مما أغرى الدول الأوروبية باستعمارهم، كانت هذه لأسباب حافزا قويا لظهور حركات دينية هدفها الأول هو إصلاح حال المسلمين وإعادةتهم إلى ماكان عليه السلف الصالح (ويقصد به صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعين)، وإن كانت غاية هذا الحركات واحدة فإنها قد اختلفت في الوسيلة، فمنها من يرى الإصلاح الديني للمسلمين والاكتفاء بما عندهم من موروث إسلامي، ومنهم من يرى إصلاح المسلمين مع الاستفادة من الحضارة الغربية. كما اختلفوا أيضا من أين نبدأ هل من الأعلى بإصلاح النظام السياسي، أم نبدأ بالفرد ولمجتمع، ام نصلح التعليم...؟

لهذا تشعبت الأفكار وتنوعت وشكلت تيارا واحدا هو التيار الإصلاحي، واختلفت تسماته منهم من يسميه التيار الديني، وقسم إلى التيار السلفي والتيار الإصلاح الحديث، تسميات أخرى. لذا سنأخذ في محاضراتنا التيار الديني ونقسمه إلى سلفي وإصلاح حديث.

**أولا: الاتجاه الديني السلفي:** ترجع جذور هذا التيار كما اخذنا في المحاضرة الأولى إلى ابن تيمية، الذي كانت له مواقف من حكام عصره ورأى ان بداية ضعف المسلمين بدأ من فساد الحكام، فكتب في الإصلاح السياسي وسجن لذلك. لقد استمر الانحدار المسلمين وضعفهم في جميع المجالات إلى ان وصل إلى العقائد، والتي سيطرت عليها الضلالات في القرن الثامن عشر، فظهرت أولى الدعوات الإصلاحية وسميت بالسلفية وهي حركة محمد بن عبد الوهاب.

1. حركة محمد بن عبد الوهاب: ظهرت هذه الحركة بالحجاز على يد محمد بن عبد الوهاب (1703- ) ولد بالعينية بنجد وتعلم بها وبالعراق، كان أساس دعوته هو العودة بالإسلام إلى صفائه لول كما كان في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وتوحيد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وأوهيته فلا يُشرك به الأولياء ولا القبور، ولا يشرك به أحد. كما دعا ابن عبد الوهاب إلى فتح باب الاجتهاد وأنكر تأويل القرآن الكريم.

انتشرت دعوته في الحجاز وامتدت إلى أطراف الشام والعراقن حين ذلك حارها العثمانيون وكلفوا والي مصر محمد علي بذلك. تحالف محمد بن عبد الوهاب مع آل سعود، وتمطنوا من بعث

الدولة السعودية بعد انسحاب الجيوش المصرية في سنة 1841. انتشرت الدعوة الوهابية في كل العالم الإسلامي، وسار على نهجه مصلحون آخرون أمثال محمد بن علي الشوكاني في نهاية القرن الثامن عشر باليمن، دعا إلى نفس المبادئ التي دعا محمد بن عبد الوهاب وترك آثارا في ذلك.

2, الحركة السنوسية:

مؤسس الطريقة السنوسية هو جزائري الأصل وهو محمد بن علي السنوسي ولد في نهاية القرن الثامن عشر في أولاد سيدي عبد الله مرابط المجاهر قرب مستغانم. بدأ تعليمه في بلده، وفي حوالي سنة 1821 غادرها إلى المغرب الأقصى لإتمام تعليمه، وفي سنة 1829 غادر المغرب الأقصى متجها إلى المشرق عبر الطريق الصحراوي. ولكنه بقي في الصحراء الجزائرية عدة سنوات يعلم الناس أمور دينهم، وغادر متجها إلى البقاع المقدسة في سنة 1839. أقام قليلا في تونس وبقي فترة في طرابلس ومصر، ثم اتجه إلى مكة حيث التقى بالشيخ إدريس الفاسي شيخ الطريقة القادرية، وأصبح من مريديها، وبعد موت إدريس الفاسي أصبح محمد بن علي شيخ الطريقة، والتي أصبحت تعرف بالسنوسية، غادر الحجاز في سنة 1843 وأقام بصحراء ليبيا حيث كان له أتباع كثير وجعل من الجغبوب عاصمة له.

إن السنوسي كان رجل علم ودين واعيا لما يحدث في العالم الإسلامي من انحطاط فكري وسياسي، مطلعا على أطماع الأوربيين فاختر طريقة صوفية لإصلاح حال المسلمين. لقد جعل من واحة الجغبوب بالصحراء الليبية عاصمة له، وفي هذا ابتعادا عن كل القوى المتناحرة آنذاك، وبدأ من هناك ينشر دعوته، واعتمد بصفة أساسية على إنشاء الزوايا في الصحراء الكبرى، ولم تكن الزوايا السنوسية مؤسسات علمية فحسب، بل كانت مراكز دعوة وجهاد ومراكز اقتصادية وثقافية، ومعسكرات للحرب. لقد انتشرت الدعوة السنوسية في مصر وطرابلس من الشرق إلى المغرب الأقصى غربا. ومن البحر المتوسط شمالا إلى أواسط إفريقيا جنوبا.

عرفت السنوسية اتساعها وأصبحت لها شوكة وهيبة في عهد المهدي الذي خلف أباه محمد بن علي السنوسي في سنة 1859، وكانت سياسته الخارجية تقوم على الحياد، فلم يدخل في أي نزاع مسلح مع أي دولة أوروبية، وقد يكون رفض السنوسي للدخول في أي حرب من حنكته السياسية، لأن الأعداء محيطين به من كل جانب، وهي مسألة وقت فقط لأنه فيما بعد دخل في صراع عسكري مع

الفرنسيين في جنوب الصحراء. لعب السنوسي دورا مهما في حماية الجزائريين الفارين من الاستعمار الفرنسي، وربطهم بالمشرق الإسلامي عن طريق سلسلة الزوايا التي أقامها في الصحراء.

### 3. الحركة المهديّة:

نسبة إلى محمد بن أحمد بن عبد الله الحاج شريف (1844-1885)، الذي ادعى أنه المهدي المنتظر فسميت حركته بالمهديّة، ولد بالسودان بجزيرة لبب بالسودان، كان والده يحترف صناعة السفن. تعلم محمد المهدي القرآن الكريم والشريعة الإسلامية وأظهر نباهة وكان ورعا منذ صباه، اتبع طريق التصوف فرأى ما عليه الناس من انحراف في العقيدة، كان يقوم بجولات في السودان يدعو الناس إلى الطريق الصحيح المأخوذ من القرآن والسنة، وجد استجابة واسعة في السودان. عند ذلك انتقل إلى مرحلة أخرى في دعوته حيث انتقل إلى جزيرة (أبا) وانشأ خلوة وأصبح يكون فيها بالتربية رجلا ليكونوا قادة بالمستقبل. اعتمد على الطبقة الشعبية في ذلك. وفي سنة 1881 أعلن محمد أحمد نفسه أنه هو المهدي المنتظر. وقد انتشرت عقيدة المهدي بكثرة في القرن التاسع عشر، بغرض الإصلاح أو لمواجهة الاستعمار، وخصت مريم أحمد علي منصور عقيدة المهدي السودان وأصولها برسالة ماجستير. ومنذ ذلك الوقت قرر أن يبدأ بتكوين دولة، أصطدم بالسلطة الحاكم آنذاك، وبدأ بإنشاء أجهزة إدارية وقضائية واقتصادية مستمدة من الشريعة الإسلامية.

توسع حتى ضم الخرطوم إليه وأقام دولته، كان طموحه أن يوحد كل الأمة الإسلامية تحت رايته، كاتب كثير من القادة والزعماء خارج السودان، لكنه توفي قبل ان يكمل مشروعه، تواصلت دولته من بعده، لكن خليفته التعايشي لم يكن في مستوى مشروع المهدي.

اتفقت الحركات السلفية على الإصلاح الديني وإصلاح المجتمع فركزت على تنقية العقيدة الإسلامية مما شابها من ضلالات ودعت على فتحت باب الاجتهاد والعودة إلى ماكان عليه السلف الصالح، كما اتخذت الوسيلة السياسية لتحقيق طموحاتها، وإن نجحت في الإصلاح الديني، فإنها في الجانب السياسي اصطدمت بقوى سياسية واستعمارية منعتها من التوسع.

